

ملخص

العلاقات العربية الدولية: الواقع والآفاق

يُعدّ هذا الكتاب حصيلة ندوة علمية حملت عنوان "العلاقات العربية الدولية: الواقع والآفاق" أقيمت يومي ١٣-١٤/١١/٢٠١٦، وشارك فيها عدد كبير من الشخصيات العلمية والأكاديمية من الأردن ومصر ولبنان والسودان والمغرب والجزائر والعراق وبريطانيا.

يتناول هذا الكتاب دراسة العلاقات العربية- الدولية بمختلف أبعادها؛ من حيث: أسس ومرتكزات هذه العلاقات، ومستوياتها، وأبرز القوى الفاعلة فيها، وقضاياها ومجالاتها، وانعكاساتها على موقفها من القضايا العربية. فضلاً عن مستقبل هذه العلاقات وأبرز الدوافع التي تساهم أو تحول دون تطورها. وهو ما يسهم في تقييم الموقع والدور الذي يحتله العالم العربي على خريطة العلاقات الدولية، واكتشاف اتجاهات التطوير اللازمة في العلاقات العربية- العربية لزيادة الدور العربي الدولي وتطويره، ورسم السيناريوهات المستقبلية للعلاقات العربية- الدولية، ومحاولة تقديم رؤى مشتركة لصياغة سياسات خارجية عربية تخدم القضايا الكبرى.

وفي كلمته في افتتاح الندوة أوضح أ. جواد الحمد، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط أن بحث العلاقات العربية- الدولية هو جزء من برنامج المركز لرفع مستوى التفكير السياسي العربي خارج دائرة الصراع والخلافات والصراعات بين النخب الحاكمة فيها، وهو محاولة لوضع مستقبل العرب في العالم في السياسة العالمية على طاولة البحث والتفكير للتوصل إلى رؤى جديدة تجمع الكلّ العربي على المصالح الكلية للأمة، وتحولّ الجهد العربي في بناء منظومة العلاقات الدولية لأي دولة أو أي مجموعة منها مجالاً لتقوية الأمة العربية وتنميتها على مختلف الصعد، ومنع تمزقها، ولوقف الاستفراد الدولي والإهمال الدولي والاستنزاف الدولي في آن واحد.

وتحت عنوان "العلاقات العربية- العربية ودورها في العلاقات العربية- الدولية" يوضح الكتاب في فصله التمهيدي كيف أن النظام العربي يُعاد تشكيله. ويضيف أن النظام العربي، منذ البداية، كان يتميز بكثافة التدخلات الآتية من النظام العالمي، ونظام القمة بصفة خاصة ومع ذلك يبقى الأكثر أهمية، والأكثر خطورة، هو ما تفعله الدول العربية ذاتها، كما يتضح من السياسات والتوجهات التي جرى تحليلها، وهي: تهافت الدولة العربية، وانتهاك محرمات العروبة، وتساقط الجوامع المشتركة، والنظام والمنظمة، وأزمة الفعالية، والطبقات الحاكمة، والجماهير العربية، والمنظومة الرأسمالية العالمية.

وينتقل الكتاب في بابه الأول لبحث العلاقات العربية- الأمريكية والروسية. فعلى صعيد العلاقات العربية- الأمريكية، يشير الكتاب إلى مراحل تطور العلاقة بين العرب وأمريكا، والتي مرت بمراحل عدة، كان النفط محورها في المرحلة الأولى التي استمرت حتى سبعينيات القرن الماضي، واستحوذت القضية الفلسطينية على اهتمام الطرفين خلال المرحلة الثانية التي استمرت حتى نهاية ذلك القرن، واستولت قضية الإرهاب على الأولوية خلال سنوات حكم جورج دبليو بوش وإدارة أوباما. وأما المرحلة الرابعة فيتصدرها دونالد ترامب بخلق رأي عام أمريكي يعادي العرب والمسلمين والإسلام. ومن ثم ينتقل الكتاب إلى تحديد أهداف أمريكا في منطقة الشرق الأوسط وتحليلها، وتحديد أهم القضايا التي لعبت دوراً محورياً في تشكيل العلاقات العربية الأمريكية. ويوضح في هذا المجال بأن أهم أهداف سياسة أمريكا الشرق أوسطية هي إحكام السيطرة على ثروات النفط التي تملكها دول الخليج العربية، وحماية أمن إسرائيل وتأمين تفوقها العسكري على كافة الدول العربية، بالإضافة إلى تمكين الشركات الأمريكية من التجارة والاستثمار بحرية في البلاد العربية.

أما فيما يتعلق بالعلاقات العربية- الروسية فيخلص الكتاب بأن على الروس دراسة المتغيرات الدولية والعمل على وضع سياسة استراتيجية تستند إلى الحفاظ على مصالحهم ونفوذهم الخاص، وأن يتجنبوا فخاً نصب لهم مسبقاً لإدخالهم في حروب لا تنتهي مع شعوب الشرق الأوسط، كما حصل سابقاً في أفغانستان. وفي المقابل على الدول العربية ودول الخليج العربي تحديداً الانفتاح أكثر على الروس، وإعطائهم تطمينات تبعد هواجسهم التي باتت روسيا تعاني منها، وخصوصاً في ظلّ الحصار المحكم الذي تفرضه عليها الولايات المتحدة وأوروبا. ويضيف الكتاب بأن هذا لا يعني بأن تُسلم الدول العربية لروسيا وسياستها، ولكن المطلوب هو استيعاب روسيا وعدم الدخول معها في مواجهة، لأنّ تدخل روسيا في سوريا كان من أجل مصالح روسيا، وقد كان النظام السوري جسراً لهذا التدخل الخطأ الذي ورّط روسيا في أزمة دولية، ويريد توريثها في مستنقع ينهكها ويضعها في مواجهة مع العالم العربي والإسلامي.

ويؤكد الكتاب في بابه الثاني على أن الدول الأوروبية تنظر إلى أمن الخليج العربي باعتباره أمن الطاقة، حيث يؤدي الخليج الدور المحوري فيه، وبالتالي فإن ما سيحدث في الخليج ستكون له أبعاد خطيرة تتجاوز حدود المنطقة. وفي قراءة خاصة للعلاقة البريطانية- العربية يظهر أن العلاقة البريطانية العربية اتسمت تاريخياً بالتوتر الناتج عن صدام المملكة المتحدة مع المشاعر والطموحات والأحلام العربية. كانت علاقة المستعمر البريطاني بأشكاله المختلفة، وبأقنعتة المتغيرة في المنطقة علاقة عداً خلافاً للشعور الذي كان ولا يزال سائداً لدى النخب الحاكمة التي أوجدتها أو ساعدتها بريطانيا في تكريس نفوذها. وبالنظر إلى طبيعة المعطيات الجديدة التي طرأت على المنطقة ورغبة بريطانيا في الخروج من الاتحاد الأوروبي فإن ذلك يدفعها للاستثمار في المستقبل من خلال البناء على معطيات تم ترسيخها في الماضي والحاضر تتعلق

بالحرص المتبادل على مواجهة الإرهاب والتطرف والعنف، وتمتين العلاقات الاقتصادية ومنع الهجرة الجماعية والحفاظ على أمن ووجود دولة إسرائيل.

كما بين الكتاب في بابه الثالث من خلال دراسة العلاقات العربية- الأفريقية مع نيجيريا والجنوب الأفريقي والإتحاد الأفريقي كحالات دراسة أنّ مقدار التعاون العربي الأفريقي لم يرقّ بعد إلى المستوى المطلوب، سواءً على المستوى السياسي، حيث بقي مرهوناً بمدى رغبة الطرفين ومقدار قوة التلاحم بينهما، وبالظروف السياسية السائدة ونخص هنا بالذكر حالة الاضطراب التي تعرفها الدول العربية بعد الربيع العربي، والتي تتحكم في تطوير هذا التعاون. أما على المستوى الاقتصادي، فلا زالت طبيعة العلاقات الاقتصادية التي تربط بين الجانبين ضعيفة، ويغيب عنها العمل الإنمائي القائم على المشاريع والاستثمارات الاقتصادية المتعددة.

أما فيما يتعلق بالعلاقات العربية- الآسيوية وأمريكا اللاتينية، فقد خلص الباب الرابع أن من نتائج التطور الإيجابي للعلاقات العربية- الآسيوية أن طالبت النخب العربية بضرورة الاستفادة من مقولات التحديث الآسيوية، من تطوير الأنظمة السياسية في الدول العربية، وترسيخ قيم العدالة والحرية والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات. حيث أثبتت الصين من خلال مناقشة أهم عناصر التلاقي والتوافق بين سياسات وتطلعات الطرفين العربي والصيني على المستوى الدولي والإقليمي أنها قادرة على تقديم نموذج تعاون جديد مع الدول العربية يختلف عن الممارسات التقليدية للقوى الكبرى بالمنطقة، يتمحور حول المبادئ الخمسة للسياسة الخارجية الصينية وفي مقدمتها مبدأ عدم التدخل واحترام سيادة الدول والجانب الاقتصادي المركز على التنمية وخدمة مصالح الطرفين. يؤكد ذلك حجم التطور في العلاقات الاقتصادية بين الطرفين منذ مطلع القرن الواحد والعشرين، حيث شهدت العلاقات البينية العربية- الصينية نقلة كمية ونوعية كبيرة جداً مع غالبية الدول العربية، مبينة على تنوع العلاقات الاقتصادية وتوازنها ما بين الاستثمار التنموي والتجارة. كما استفادت اليابان على الدوام من ثورات العلم والتكنولوجيا والاتصالات لتبني علاقات تجارية متينة مع الدول العربية، وحرصت الدبلوماسية اليابانية على تعزيز علاقاتها مع جميع الدول العربية، وهي تقدم مساعدات مالية وتقنية وفنية، وتساهم في تقديم الدعم اللوجستي، والمالي، والتنموي في كثير من المجالات، لعدد كبير من الدول العربية.

وفي إطار العلاقات العربية مع أمريكا اللاتينية يوضح الكتاب بأن التعاون العربي اللاتيني يكتسب أهمية خاصة، بالنظر إلى تنوع وضخامة حجم المنافع والفرص الممكن تحقيقها من تعزيز العلاقات بين الطرفين، الأمر الذي دفع الدول العربية ودول أمريكا اللاتينية إلى التوسع في حضورهما الدبلوماسي؛ فتضاعف عدد السفارات العربية، فضلاً عن القنصليات العامة الفخرية في مقابل حضور دبلوماسي لاتيني منتشر في

المنطقة العربية، كما زاد حجم التبادل التجاري، وتتنوع الاتفاقات التي وقعتها دول المنطقتين في مختلف المجالات ذات الاهتمام المشترك

وفي الختام، يؤكد الكتاب أنه من المستبعد أن يلعب العرب دوراً مؤثراً وفعالاً في تحولات السياسة العالمية، دون إجماع يعبر عن رؤية موحدة وكلية حول القضايا الإقليمية والعالمية، وهذا يتطلب إصلاح العلاقات العربية العربية التي عانت من الانقسام والتشردم والاستقطاب، كما يتطلب أيضاً إعادة النظر في مراجعة مؤشرات التنمية البشرية في العالم العربي، ومعالجة الاختلالات البنوية والهيكلية في الاقتصاد العربي، ومخاطبة تحديات البطالة وسط الشباب، وتوسيع المشاركة في اتخاذ القرار، والانفتاح الديمقراطي المتدرج والمتوازن.